قضايا القرءان الكريم عند ابن تيمية

الباحث/ أحمد حسن شعبان أحمد غرياني

مقدمة:

من خلال البحث في القرءان الكريم بين السنة والشيعة وجدتُ أن هناك قضايا رئيسية متنازع فيها دينيًا وعلميًا بين السنة والشيعة ومن هذه القضايا قضية جمع القرءان الكريم وقضية خلق القرءان الكريم ، حيث يقع بين السنة والشيعة جدال حول جمع القرءان الكريم فابن تيمية يرى أنّ سيدنا أبا بكر هو أول من جمع القرءان الكريم أو أنه جمع في عهد أبي بكر الصديق ثم عم ثم كان المصحف الواحد في عهد سيدنا عثمان وبأمرٍ منه رضي الله عن الجميع . لكن الشيعة يرون أنّ عليا هو الذي جمع القرءان الكريم بنفسه .
وعن خلق القرءان الكريم: ذهب ابن تيمية بأن القول بخلق القرءان قولا باطل . ووضّح وبيّن القول الفصل فيه بأنّ القرءان الكريم كلام الله العزيز العليم وهواعتقاد أهل السنة والجماعة. فقضية خلق القرءان الكريم عند ابن تيمية من القضايا التي أخذت عنده حيّزا كبيرا حتى أنه أفرط فيها وتكلم فيها كثيرا و بسبب إطالته وكثرت كلامه عنها قالت الإمامية أنه وقع في أخطاء كثيرة.
وبما أنّ البحث بصدد طائفة الإمامية الاثني عشرية[1] وهي من طوائف الشيعة وموقفها من رمز من رموز السنة[2] وهو ابن تيمية لذا دار الحديث في هذا البحث حول قضية جمع القرءان الكريم عند ابن تيمية لأننا نؤمن ونصدق بأن القرآن الكريم هو آخر كتاب من كتب الله، الذي أنزله على رسوله محمد . فتلاوة القرآن والاستماع له والعمل به كلها عبادات يتقرب بها المسلم إلى الله ليطمئن بهِ قلبهُ. ونعتقد أنه أساس الحضارة والثقافة ، وبه بدأت النهضة في كل مجالات الحياة، الدينية والدنيوية. " وقد تكون البحث من مقدمة ثم مناقشة قضية جمع القرءان الكريم عند ابن تيمية من خلال مراحل جمع القرءان الكريم في العهد النبوي ثمّ عهد أبي بكر الصديق ثم عمر وعثمان ثم خاتمة.

1 – بل هي في وقتنا الحالي أكبرهم وأقواهم وأكثرهم انتشارًا ولها درع وسيف متمثل في دول بكيانها وفي سلطات وفي اتجاهات لها وضعها داخل دول أخرى والناظر للوضع الحالي في المنطقة العربية وما حولها نظرة شمولية وتاريخية يعي ذاك جيدًا فأظن التاريخ يعيد نفسه . والذي ألمسه دائمًا من خلال معرفتي البسيطة أن قيام دول تتبنى المذهب الشيعي وتتكلف بحماية عقيدة الشيعة أمر دائم وقائم لا ينقطع ولا شك أن هذا ليس بمحض الصدفة والله أعلم

2 – أقصد على الإطلاق ، فهناك مذاهب أو إن شئنا نقول فرق منسوبة لأهل السنة كالأشاعرة تنقد بل تنقض ابن تيمية ربما مثل الإمامية ، وأذكر أنني وقفت على كتاب فحواه تكفير ابن تيمية

أولا: تعريف القرءان الكريم:

- **القرءان لغة :**

" القرءان هو أول أسماء الكتاب العزيز وأشهرها، وأصحّ الأقوال في شرح معناه اللغوي أنه مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى : (إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) [1] ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما لكلام الله المنزل على نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه .

فالمشهور بين علماء اللغة : " أن لفظ القرءان في الأصل مصدر مشتق من قرأ يقال قرأ قراءة وقرآناً ، ومنه قوله تعالى : { إن علينا جمعه و قرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه }. ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علماً.

وقد قيل :إن اسم القرآن مشتق من القرء بمعنى الجمع؛ لأنه جمع ثمرات الكتب السماوية السابقة، والرأي الأوّل أصح .

وذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه إلى أن لفظ القرآن ليس مشتقا ولا مهموزا، وأنه قد ارتجل وجعل علما للكتاب المنزل، كما أطلق اسم التوراة على كتاب موسى، والإنجيل على كتاب عيسى عليهما السلام.

ومن أسماء القرآن :الفرقان، ويعني أنه الكلام الذي يفرّق بين الحق والباطل.قال تعالى : (تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيرًا) [2]

- **القرءان في الاصطلاح :**

هو اللفظ العربي المعجز، الموحى به إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس .

المعجز: القرآن هو معجزة الرسول الكبرى، وقد أعجز العرب وهم أهل الفصاحة بما تضمّنه من فصاحة وبلاغة، وأنباء الغيب، وأخبار الأمم السابقة، وما حواه القرآن من إعجاز علمي وتشريع محكم دقيق صالح لكل زمان ومكان، ومن الثابت أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم تحدّى قومه بالقرآن وأنهم عجزوا عن الإتيان بمثله، قال تعالى:قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً] الإسراء: ٨٨.[

1- سورة القيامة: ١٧-١٨

2- سورة الفرقان : ١

الموحى به: والقرآن الكريم بجميع ألفاظه ومعانيه منزل من الله تعالى على محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم بواسطة جبريل عليه السلام، قال تعالى :وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ] الشعراء.[195 - 192:وقال سبحانه :إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى] النجم: ٤ .[وهذا أهم عنصر في تعريف القرآن، وتحديد ماهيته، وتعيين مصدره، وواسطة نقله.

المتعبّد بتلاوته:وهذا يعني أن قراءة آيات القرآن الكريم عبادة، يتقرّب بها المؤمن من خالقه، ويكتب له بها الأجر الجزيل والثواب العظيم، كما سيأتي عند الكلام عن فضل قراءة القرآن.ومما يدلّ على أهمية التلاوة في مجال العبادة :أنّ الصّلاة لا تصحّ إلا بقراءة آيات من القرآن، ولا يغني عنه شيء من الأذكار والدعاء، قال الله تعالى :(عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) المزمل: ٢٠ .وقال صلّى الله عليه وسلّم» :لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب

المنقول بالتواتر: ومعنى التواتر هو نقل الجمع عن الجمع بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب، ومن المسلّم به تاريخيا :أن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تلقّوا القرآن مشافهة من فم رسول الله وحفظه أكثرهم، ونقلوه إلى جيل التابعين، وهكذا بقي القرآن ينتقل من جيل إلى جيل آخر حتى وصلنا، وهذا يجعلنا نجزم بأن القرآن نقل إلينا بالتواتر، نقلته جموع المسلمين عن جموعهم إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

١ – قضية جمع القرءان الكريم عند ابن تيمية:

وقضية جمع القرءان الكريم من القضايا الفاصلة بين المذهبين السني والشيعي فلقد ترتب على ذلك خلافًا بين المذهبين المتقابلين . فيرى ابن تيمية أنّ المصحف المتداول والمتواتر بين أيدينا هو ما قام الصحابة بجمعه وأنه بلغة قريش ومتفق على قراءاته وجمعها . وعلى القراءات المتواترة التي يقرأ بها المسلمون . **و**يوافق ابن تيمية مذهب أهل السنة والجماعة في قضية جمع القرءان الكريم وأنه المصحف المتواتر بين أيدينا والمكتوب بلغة قريش وذلك بناء على جمع القرءان الذي تمّ بعد استشهاد أهل القرءان في موقعة اليمامة .

مراحل جمع القرءان الكريم عند أهل السنة [1]:

أولا: في عهد النبي:

ذكرت سابقًا أنّ القرءان في العهد النبوي كان مكتوبًا وغير مرتب فكان عبارة عن صحف وليس مصحفًا واحدًا. لما لقي رافعٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة، أعطاه ما أنزل عليه في عشر سنين خلت، وقدم به رافع المدينة، ثم جمع قومه فقرأ عليهم.وكان رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف. إذاً، كان رافع يكتب آيات القرآن الكريم في مكة قبل الهجرة، وحمل معه الصُحف المكتوبة إلى المدينة. وتعبير: "(أول) من قدِم المدينة بسورة يوسف "، يدل على أن هنالك ثانيًا وثالثًا2.. و كثرة الصُّحُف التي بين أيدي الصحابة الكرام، والتي اعتزّ كلٌّ منهم أنه كتبها بين يدي رسول الله ﷺ، وفيهم مَن أسلم في بداية العهد المكي.ولا يُعقَل أن يكونوا كتبوها جميعاً في عهد أبي بكر.وذلك كان واضحًا جدًا في قصة إسلام عمربن الخطاب حيث إنه وجد عند أخته وزوجها صحيفة كتبت فيها سورة طه، كان خباب بن الأرت يعلمهما إياها. ٣ وهذا يدل على أن عادة خباب بن الأرت أخذ صحف من القرآن المكتوب، وتعليمها للمسلمين في بيوتهم وكل هذا يدل على أنّ آيات الكتاب الحكيم كتبت في العهد النبوي الشريف.

ثانيا: جمع القرءان في عهد أبي بكر الصديق:

بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) جاء أبو بكر الصديق خليفة له ، وتعرض المسلمون لأحداث عظام ، ونشبت حروب الردة بقيادته ، ونال القتال بالقراء في معركة اليمامة 4 فقد استشهد فيها سبعون قارئاً من حفاظ القرآن. وكان القرآن الكريم على هذه الحال مفرقًا غير مجموع في مصحف واحد محفوظًا في صدور الرجال . فخاف عمر بن الخطاب5 من أن يضيع شيء من القرآن بموت حفظته، فدخل على أبي بكر، وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته

1 – أ.د سيد عبد الستار ميهوب ، القرءان والنبوة : طبعة دار الهداية . وقد تم إدراج مراحل الجمع بهذا الترتيب وهذه الطريقة وفق طريقة الكتاب

2– ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة : الجزء ٢ ، ص ٤٤٤

3– ابن هشام ، السيرة النبوية : الجزء ٢ ، ص ١٨٧

4– التي وقعت سنة ١٢ هـ وعرفت تاريخيا بحروب الرّدة حيث ارتد كثير من القبائل عن دين الإسلام كما يرى البعض أو حروب مانعي الزكاة كما يرى البعض الآخر

5– وكان عمر ملهما كما قال عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فانتبه للخطر الذي قد يتعرض له القرءان الكريم بل الدين كله ولكنّ وعد الله بحفظ القرءان الكريم كانت حاكمة الأمر في جمع القرءان الكريم وعدم الاعتماد على الحفظة فقط ؛ ليكون هناك حفظا مكتوبا للقرءان الكريم غير حفظ الصدور.

خشية الضياع[1]، فنفر أبو بكر من مقالته، وكَبُرَ عليه أن يفعل ما لم يفعله النبـــي[2]، فظل عمر يراوده حتى اطمأنّ أبو بكر لهذا الأمر. ثم كلف أبـــو بكـــر زيـــد بـــن ثابت بتتبع الوحي وجمعه، فجمعه زيد من الرقاع والعــسب واللخـــاف وصـــدور الرجال. حرص زيد بن ثابت على التثبت مما جمعه، ولـــم يكتـــف بـــالحفظ دون الكتابة، وحرص على المطابقة بين ما هو محفوظ ومكتوب، وعلى أن الآية مـــن المصدرين جميعًا. فكان ذلك، أول جمع للقرآن بين دفتين فـــي مـــصحف واحـــد. واحتفظ أبو بكر بالمصحف المجموع حتى وفاته، ثم أصبح عند حفصة بنت عمر. خلال خلافة أبيها.

ثالثا: جمع القرءان في عهد عثمان:

شهد حذيفة بن اليمان خلافًا في قراءة القرآن حدث بين أهل العراق وأهل الشام وقع بعـــد غزو ثغور أرمينية وأذربيجان وقد أنكر بعضهم على بعض ما يقرأون فشدّ رحالـــه إلـــى عثمان وبلّغه بالأمر ،وحينها ظهرت قراءات متعددة منشؤها اختلاف لهجـــات العـــرب ، وذلك بسبب انتشار الصحابة في البلدان التي خضعت لراية الإســـلام يعلمـــون النـــاس القرآن، وأخذ كل بلدٍ عن الصحابي الذي جاء إليهم قراءته، فأرسل عثمان إلـــى حفـــصة بنت عمر، يطلب المصحف لنسخه .

ثم أمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها، وجعلوا كتابتـــه علـــى لهجـــة قـــريش، ثـــم أرســـل عثمـــان النـــسخ إلى مكة والشام والبصرة والكوفة واليمن والبحرين، وأبقى عنده في المدينة مصحفًا واحدًا، فقضى على الاختلاف بين بعض المسلمين. وقد درج العلماء علـــى تـــسمية المـــصحف المكتوب بأمر عثمان بمصحف عثمان أو المصحف الإمام.

والفارق الذي يظهر بين الجمع في المراحل الثلاثة : في العهد النبوي كان بأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه والغرض الذي يتضح من ذلك هو تدوينه وحفظه كتابةً. وكان الباعث لدى أبي بكر لجمع القرآن هو الخوف عليه من الضياع بموت حفاظه بعـــد أن استحرّ القتل بالقراء. أما عثمان فدافعه هو منع الاختلاف في وجوه القراءة، وتوحيـــد المسلمين على مصحف واحد.وهذا ما تمّ واجتمع المسلمون على مصحف واحد وهو مـــا يعرف بمصحف عثمان .

1- وهذا يدل على احترام سيدنا عمر لنظام الدولة حيث أسند الأمر إلى أبي بكر حيث كونه الراعي للأمة رغم أن الأمر خطير ومصيري ولو غير عمر لراح يفعل ذلك من طلقاء نفسه تحت دعوى أنه يحمي الدين من الضياع ، ويدل أيضًا على أخذ سيدنا عمر بمبدإ الشورى قال تعالى {.... وأمرهم شورى بينهم } سورة الشورى : آية ٤٢

2- وهذا يدل على حرص سيدنا أبي بكر على عدم الابتداع في الدين

وقد ثبت في الصحيح عن عثمان أنه قال: إن القرآن نزل بلغة قريش وقال للرهط القرشيين الذين كتبوا المصحف هم وزيد: إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش؛ فإن القرآن نزل بلغتهم ولم يختلفوا إلا في حرف وهو (التابوت) فرفعوه إلى عثمان فأمر أن يكتب بلغة قريش رواه البخاري في صحيحه. وعن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش."[1]

ومصحف عثمان أنه آخر ما عرضه الرسول عليه الصلاة والسلام وأنه كان باتفاق الصحابة : " وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بكتابتها في المصاحف وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبي بكر في صحف أمر زيد بن ثابت بكتابتها ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف وإرسالها إلى الأمصار وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة علي وغيره. وهذا النزاع لا بد أن يبنى على الأصل الذي سأل عنه السائل وهو أن القراءات السبعة هل هي حرف من الحروف السبعة أم لا؟ فالذي عليه جمهور العلماء من السلف والأئمة أنها حرف من الحروف السبعة؛ بل يقولون: إن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة وهو متضمن للعرضة الآخرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل والأحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول. وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة وقرر ذلك طوائف من أهل الكلام كالقاضي أبي بكر الباقلاني وغيره؛ بناء على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف الإمام العثماني وترك ما سواه حيث أمر عثمان بنقل القرآن من الصحف التي كان أبو بكر وعمر كتبا القرآن

1- أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، مجموع الفتاوى : الجزء ١٥ ص ٢٥١ ، طبعة دار الكتب العلمية .

فيها ثم أرسل عثمان بمشاورة الصحابة إلى كل مصر من أمصار المسلمين بمصحف وأمر بترك ما سوى ذلك." [1]

وعن ترتيب السور وأنها بناء على نص:

" وأما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص[2] عليه فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم كما قدموا سورة على سورة لأن ترتيب الآيات مأمور به نصا وأما ترتيب السور فمفوض إلى اجتهادهم. قالوا: فكذلك الأحرف السبعة فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجتماعًا سائغًا وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولا فعل لمحظور. ومن هؤلاء من يقول بأن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام؛ لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولا فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيرًا عليهم وهو أرفق بهم أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الآخرة. ويقولون: إنه نسخ ما سوى ذلك. وهؤلاء يوافق قولهم قول من يقول: إن حروف أبي بن كعب وابن مسعود وغيرهما مما يخالف رسم هذا المصحف منسوخة."[3]

وأمّا عن جمع القراءات فقد سئل ابن تيمية : عن " جمع القراءات السبع " هل هو سنة أم بدعة؟ وهل جمعت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا؟ وهل لجامعها مزية ثواب على من قرأ برواية أم لا؟ .

فأجاب : " الحمد لله، أما نفس معرفة القراءة وحفظها فسنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول فمعرفة القراءة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها أو يقرهم على القراءة بها أو يأذن لهم وقد أقروا بها سنة. والعارف في القراءات الحافظ لها له مزية على من لم يعرف ذلك ولا يعرف إلا قراءة واحدة. وأما جمعها في الصلاة أو في التلاوة فهو بدعة مكروهة وأما جمعها لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد الذي فعله طوائف في القراءة ." [4]

وعن أول من جمع القراءات ذكر أنه الإمام بن مجاهد في القرن الثالث .

1- ابن تيمية ، مجموع الفتاوى : الجزء ١٣ ص ٣٩٥ - ٣٩٦
2- لم يبين ابن تيمية ماهية النص ، ولكن الظاهر هنا أنه توقيفي مما أوحي للرسول عليه الصلاة والسلام .
3- ابن تيمية ، مجموع الفتاوى : الجزء ١٣ ص ٣٩٦
4- ابن تيمية ، مجموع الفتاوى : الجزء ١٣ ص ٤٠٤

بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر بن مجاهد وكان علـــى رأس المائـــة الثالثة ببغداد فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقين والشام؛ إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره والحديث والفقه مـــن الأعمال الباطنة والظاهرة وسائر العلوم الدينية فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار؛ ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أنزل عليها القـــرآن لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هـــي الحـــروف الـــسبعة أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم. ولهذا قال من قـــال مـــن أئمة القراء: لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمـــام جامع البصرة وإمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين. [1]

٢ – قضية خلق القرءان:

لم يكن منتشرا بين المسلمين الخوض في كون القرءان الكريم مخلوق أو غيـــر مخلوق حتى ظهرت قضية خلق القرآن وعرفها البعض بـــمحنة خلق القرآن وهو فكـــر انتشر في عهد الخليفـــة العباســـي المـــأمون مـــن قبـــل فرقـــة المعتزلـــة والتـــي تعـــدّ أن القرآن مخلوق وكلام الله مخلوق وهو القول الذي ابتدعه الجهم بن صفوان واقتنع بهذا الرأي الخليفة المأمون وطالب بنشر هذا الفكر وعزل كلِّ قاضٍ لا يؤمن بهِ. وهو ما لقـــي معارضة واستهجاناً كثيراً من الائمة مثل الإمام أحمد بن حنبل والذي تحمل من أجل ذلـــك الكثير من التعذيب حتى قام الخليفة المتوكل بإنهاء هذه المحنة وأفرج عنه. وأصـــل هـــذهِ المسألة شبهة قديمة أراد أن يثيرها يوحنا الدمشقي الذي قال إذا كان القرآن غير مخلـــوق فهو أزلى وبالمثل فإن النبي عيسى أزلي لأنهُ كلمة الله وإن كان مخلوقا فهو منفصل عـــن قدسية الله مثل باقى المخلوقات. والرد أن القرآن علم من علوم الله غير مخلـــوق أزلـــي علمه وحادث نزوله وخلق عيسى وسائر المخلوقات أزلي علم الله بهم وحادث خلقهم.

وإن من أسباب نشوء المحنة كانت محاولة من الخليفة العباسي المأمون في عام 218هـــ لفرض آرائهِ الفلسفية حول عدة مواضيع. وكان يتلخص في سؤال واختبـــار أشـــخاص بعينهم، فيما يرونه من وجهة نظرهم، حول مـــا إذا كـــان القـــرآن مخلوقـــا أم لا. فكـــل الطوائف أجابت أن القرآن هو الكلمة التي لم تمسها شائبة منسوبة إلـــى الله العلـــي، بمـــا يعنى أن القرآن كلام الله ولم يخلق. وكانت المسألة هل القرآن مخلوق؟ (هذا هـــو موقـــف ورأى المأمون)، أم أن القرآن هو كلام الله .وكان هذا الجواب الأخير لايخلو من العواقب

1- ابن تيمية ، مجموع الفتاوى : الجزء ١٣ ص ٣٩٠

من قبل المحققين واتخذت ذرائع ضد من رفض الزعم بخلق القرآن، بما فيها الفصل من الوظيفة العمومية، والسجن، وحتى الجلد أيضا. واستمرت المحنة بعد وفاة المأمون وفي عهد خلفه المعتصم بالله والواثق بالله وانتهت عام 861م بوصول المتوكل على الله للحكم .

وتكلم ابن تيمية عن حكم القول بخلق القرءان بأنه قول باطل . ووضّح وبيّن القول الفصل فيه بأنّ القرءان الكريم كلام الله العزيز العليم وهواعتقاد أهل السنة والجماعة. فقضية خلق القرءان الكريم عند ابن تيمية من القضايا التي أخذت عنده حيّزا كبيرا حتى أنه أفرط فيها وتكلم فيها كثيرا و بسبب إطالته وكثرت كلامه عنها قالت الإمامية أنه وقع في أخطاء كثيرة.

وكان ابن تيمية قد أفاض كثيرا في هذه المسألة وألف كتابا خاصٌ بها ، وهو يقع في مؤلفه الكبير مجموع الفتاوى ، الجزء الثاني عشر بعنوان " القرءان كلام الله حقيقة " .

ولم يكتف ابن تيمية بأخذ موقف أهل السنة في القول بأنّ القرءان الكريم كلام الله غير مخلوق وتأييد أئمة أهل السنة في ذلك خاصة الإمام أحمد بن حنبل . فقد قام باستقراء القضية وعرض جوانبها من كل اتجاه . فقام بذكر منبع الخلاف وأنّ أول من قال بقول خلق القرءان الجعد بن درهم ، ثمّ أوضح معى إنزال القرءان الكريم وبطلان القول بخلق القرءان وإثبات أنه كلام الله تعالى وليس شيء منه كلاما لغيره .

فقضية خلق القرءان عند ان تيمية تدور حول بطلان القول بخلق القرءان الكريم ويتضح ذلك من خلال كتاباته . فأثبت أن القرءان كلام الله ، ثم أثبت نسب ذلك للسلف الصالح والأئمة الأربعة كما ذكر.

خاتمة:

جمع القرآن له معنيان أساسيان: الأول حفظه في الصدور، والثاني جمعه عن طريق كتابته. فالمقصود بحفظه في الصدور: هو جمع القرآن في صدرك وإثبات قراءته على لسانك. وقد حفظ القرآن كثير من الصحابة أشهرهم :أُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب وغيرهم الكثير.قال تعالى في سورة القيامة ﴿ إنّ علينا جمعه وقرأنه فإذا قرأناه فاتبع قرأنه 1 ﴾ وأما كتابته : فكان القرآن محفوظًا في الصدور بعد وفاة النبي محمد ﷺ ، وكان مكتوبًا في رقاع ولخاف وعسب وأكتاف ٢ ، لكنه مفرق ولم يرتب في مصحف واحد على عهد النبي محمد. فهناك فرق بين الصحف والمصحف . قال ابن حجر " الفرق بين الصحف والمصحف، أن الصحف: الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن في عهد أبى بكر ، وكانت سورا مفرقة، كل سورة مرتبة بآياتها على حدة، لكن لم يرتب بعضها إثر بعض. فلما نسخت ورتب بعضها إثر بعض، صارت مصحفا "3. ويرجع سبب عدم جمع القرآن مرتبًا في مصحف واحد على عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حرص النبي نفسه على عدم جمعه ترقبًا لنزول شيء جديد منه حتى وفاته، فلو أنه رتبه أولاً بأول وجمع بين دفتي مصحف واحد، لأدى هذا إلى كثرة التغيير والتبديل كلما نزلت عليه آية، وفي هذا من المشقة ما فيه. وقد وردت كثير من النصوص دالة على حفظ القرآن الكريم في سطور الصُّحُف ــ إضافة إلى حفظه المتواتر في الصدور ــ في عهد النبوة، ومنها: قوله تعالى : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾ ووجه الدلالة أن المشركين شاهدوا صحفاً مكتوبًا عليها آيات من القرآن الكريم، وقالوا: «اكتتبها» ولم يقولوا: «كتبها»، لأنهم يعلمون أن رسول الله ﷺ أمي لا يكتب، بل يأمر غيره بالكتابة. وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " لا تكتبوا عنّي ، ومن كتب عني غير القرءان فليمحه "٤ [٥]، وعن عثمان ابن أبي العاص قال " .. فدخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان عنده مصحفا فأعطانيه "٦ . ولقد اتضح أنّ جمع القرءان الكريم عند أهل السنة بعدة

1- سورة القيامة : آيات ١٧ ، ١٨

2- الرقاع : الجلود ، الرقاع : الحجارة الرقيقة ، العسب : جريد النخل ، الأكتاف : عظام الإبل

3- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري : الجزء ٩ ص ١٨ طبعة دار الكتب العلمية

4- الإمام مسلم : صحيح مسلم : كتاب الزه الزهد باب التثبت في الحديث ، رقم ٣٠٠٤

5 – وهذ النهي كان مؤقتا كي لا يختلط الحديث بالقرءان الكريم

6 – الإمام الطبراني : المعجم الكبير : الجزء ٩ ص ٦١

مراحل بداية من عهد الرسول عليه السلام إلى استقرار المسلمين على مصحف واحد والمعروف بمصحف عثمان (رضي الله عنه) والمصحف الإمام.

فالمسلمون يرون أن الإنسان المسلم لا يستغني عن القرآن؛ فبه حياة قلبه ونور بصره وهداية طريقه. وكل شيء في حياة المسلم مرتبط بهذا الكتاب، فمنه يستمد عقيدته، وبه يعرف عبادته وما يرضي ربه، وفيه ما يحتاج إليه من التوجيهات والإرشادات في الأخلاق والمعاملات، وأن الذي لا يهتدي بهذا الكتاب يضيع عمره ومستقبله ومصيره، ويسير في ظلمات الجهل والضلالة والضياع، وذلك بناءً على ما جاء في عدد من السور والأحاديث النبوية، كما في سورة الإسراء : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)

وفي سورة طه (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) ، وكما ورد في أحد الأحاديث النبوية عن الدارمي عن علي بن أبي طالب قال : »سمعت رسول الله يقول: "ستكون فتن". قلت: "وما المخرج منها؟" قال: "كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا "إنا سمعنا قرآنا عجبا". هو الذي من قال به صدَق، ومن حكم به عدل، ومن عمِل به أجر، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم.

و بخصوص قضية خلق القرءان الكريم يعتقد أنه كلام الله حقيقة وليس بمخلوق ولا يحق القول بغير ذلك بتاتا . حيث قال مختصرا قضيته " من قال عن القرآن الذي يقرؤه المسلمون: ليس هو كلام الله أو هو كلام غيره فهو ملحد مبتدع ضال . ومن قال : إن أصوات العباد أو المداد الذي يكتب به القرآن قديم أزلي فهو ملحد مبتدع ضال ؛ بل هذا القرآن هو كلام الله وهو مثبت في المصاحف وهو كلام الله مبلغا عنه مسموعا من القراء ليس هو مسموعا منه والإنسان يرى الشمس والقمر والكواكب بطريق المباشرة ويراها في ماء أو مرآة فهذه رؤية مقيدة بالواسطة وتلك رؤية مطلقة بطريق المباشرة وكذلك الكلام يسمع من المتكلم به بطريق المباشرة ويسمع من المبلغ عنه بواسطة والمقصود بالسماع هو كلامه في الموضعين كما أن المقصود بالرؤية هو المرئي في

الموضعين.١ و(القرآنُ صفةٌ من صفات الله وصف بها نفسه)[2] . (أهل السنة متفقــون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن كلامه من صفاته القائمـــة بنفــسه لـــيس مـــن مخلوقاته)[3]

وفي نهاية البحث توصلت إلى:

١- أن جمع القرءان الكريم عند ابن تيمية مرّ بمراحل عدة إلى أن استقر المـــسلمون على مصحف عثمان ابن عفان وما يروى غير ذلك عند الشيعة الإمامية كذب

٢- بطلان القول بخلق القرءان عند ابن تيمية وأنه كلام الله غير مخلوق ومن يقول بغير ذلك يقع تحت طائلة الابتداع

1 مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، الجزء ١٢ ص ٣٥

2 بيان تلبيس الجهمية : ابن تيمية ، الجزء ٢ ص ١٦٥

3 مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، الجزء ١٧ ص ٧٧

مصادر البحث :

- القرءان الكريم
- ابن تيمية ، بيان تلبيس الجهمية
- ابن تيمية ، مجموع الفتاوى
- ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة
- ابن هشام ، السيرة النبوية
- الإمام مسلم : صحيح مسلم
- الإمام الطبراني : المعجم الكبير